Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (4), Issue (1) July(2024)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://www.iasj.net/iasj/journal/419/issues
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

الشيخ عبدالله سراج الدين الرفاعي والمدرسة الشعبانية

م.د. هيام اسماعيل حسن

Sheikh Abdullah Siraj Al-Din Al-Rifai and the Shaabaniya School

Preparation
M.D. Hiyam Ismail Hassan

الملخص

المدرسة الشعبانية احدى مدارس العلوم الشرعية في مدينة حلب، بنيت عام ١٠٨٥هـ الموافق ١٦٧٤م, وتعود تسميتها إلى شعبان آغا بن أحمد، حيث قام بوقف المدرسة في سبيل نشر العلم، وبعد أن أُغلقت الشعبانية مدة من الزمن قام بإعادة افتتاحها الشيخ عبدالله سراج الدين الرفاعي الذي أعطى للمدرسة ثقلها الديني والعلمي الكبير, حتى وافته المنية ودفن داخل المدرسة, وكانت المدرسة الشعبانية تهتم بطلاب العلم وتؤمن احتياجاتهم، وترعى أمورهم وأمور عائلاتهم، حتى تخرج منها جمع غفير من العلماء.

The Sha'baniyah School is one of the schools of Sharia sciences in the city of Aleppo. It was built in 1085 AH, corresponding to 1674 AD. Its name goes back to Shaaban Agha bin Ahmad, who stopped the school in order to spread knowledge. After the Sha'baniyah was closed for a period of time, it was reopened by Sheikh Abdullah Siraj al-Din al-Rifai, who gave The school had great religious and scientific weight, until he passed away and was buried inside the school. The Shaabaniya school took care of the students of knowledge, provided for their needs, and took care of their affairs and the affairs of their families, until a large group of scholars graduated from it.

المقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله (ﷺ) ... وبعد:للمدارس الدينية تاريخ حافل بنشر تعاليم الإسلام, فبعد ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي، انضم المسلمون الذين أرادوا الحصول على تعليمٍ ديني إلى حلقات العلم في المساجد، حيث كانوا يتلقوا العلم من أساتذتهم, ثم بعد ذلك وعلى مدار الأعوام كانت هنالك مراكز للتعليم إضافية، والتي قام بتأسيسها وتمويلها العلماء أو كبار المسؤولين وأبناء المجتمع الأغنياء، في المكتبات العامة والخاصة. وكانت هذه المراكز الشكل المبكر لنظام المدارس الدينية, حتى باتت بحلول القرن الحادي عشر، المدارس الدينية مراكز تعليمية مستقلة وراسخة، مع احتفاظها حتى يومنا هذا ببعض الميزات التي كانت تتمتع بها في ذلك الوقت, ومن هذه المدارس هي المدرسة الشعبانية التي أعاد افتتاحها الشيخ عبدالله سراج الدين الرفاعي, وقد سلطنا الضوء عليها لتكون موضوع بحثنا.واقتضت طبيعة البحث أن تكون الخطة مقسمة بعد هذه المقدمة على النحو الآتي:المبحث الأول: السيرة الذاتية والعلمية للشيخ عبد الله سراج الدين المطلب الأول: سيرته الذاتية المطلب الثاني: سيرته العلمية المبحث الثاني: نظام المدرسة الشعبانية ومناهجها ثم الخاتمة, وفهرس المصادر والمراجع.**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين, وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.**

المبحث الأول السيرة الذاتية والعلمية للشيخ عبد الله سراج الدين

المطلب الأول: سيرته الذاتية:

أولاً: اسمه: الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد نجيب بن الحاج محمد بن الحاج يوسف سراج الدين الحسيني، الحنفي الحلبي الحسيني[١].

ثانياً: مولده: ولد الشيخ عبد الله بن محمد نجيب سراج الدين –رضي الله عنه– بمدينة حلب سنة ١٣٤٢ للهجرة النبوية الموافقة لسنة ١٩٢٤م, في بيت عرف ببيت الفضل والكرم والعلم وذلك لما اشتهر عن والده –رضي الله عنه– بحلِ المعضلات العلمية وبيان ما التبس فهمه واشتبه أمره

من العلوم والمعارف العالية حيث إن كبار علماء ذلك الوقت كانوا يقصدونه فإذا قال لهم قولاً أذعنوا له وكان قوله هو القول الفصل, رضي الله عنهم أجمعين[٢].

ثالثاً: نشأته: في هذا البيت الفاضل المعروف بالنسب والحسب نشأ شيخنا الإمام رضي الله عنه وتربى في أحضان والده العارف الكبير الشيخ محمد نجيب رضي الله عنه ووالدته السيدة خديجة المكتبي بنت الشيخ وحيد المكتبي الذي استشهد في أيام الحرب العالمية الأولى فكفلها عمها العلامة الكبير فقيه عصره السيد الشيخ أحمد المكتبي رحمه الله تعالى[٣].

رابعاً: وفاته: توفي يوم الاثنين ٢٠ ذي الحجة ١٤٢٢ من الهجرة الشريفة الموافق ٤ مارس ٢٠٠٢م في مدينة حلب، وقد خرج الآلاف من سكان مدينة حلب من محبيه ومريديه لتوديع هذا الشيخ[٤].

المطلب الثاني: سيرته العلمية:

أولاً: نشأته العلمية:التحق بالمدرسة الشرعية (المدرسة الخسروية)، ونبغ بين أقرانه، وحفظ القرآن، واشتغل بحفظ الحديث ودراسته. وفي السنة الأخيرة في المدرسة الخسروية تغيرت المناهج، وأدخل عليها منهاج وزارة المعارف (وزارة الأوقاف لاحقاً) بكامله، فخفت المناهج الشرعية، فاعتزل الشيخ المدرسة، وعكف على علوم الشريعة وبدأب عظيم وتحت إشراف والده وتوجيهه. وكان من شيوخه الشيخ محمد راغب الطباخ (مؤرخ حلب ومحدثها). وقد بلغ محفوظه نحو ثمانين ألف حديث؛ من أحاديث السنة والمسند والترغيب والترهيب والتفسير وغير ذلك. واعتنى عناية كبيرة بمختلف علوم الشرع وعلوم العقل واللغة حتى صار بحراً في كل علم منها، وما لبث أن طار صيته في العلوم الشرعية وخاصة علم الحديث ومصطلحه، وعُهِد إليه بالتدريس في المدارس الشرعية والمدرسة الشعبانية، إضافة إلى دروسه العامة في المساجد[٥].

ثانياً: مشايخه وإجازاته العلمية:نظراً لما كان يحفظه شيخنا الإمام –رضي الله عنه– من أحاديث كثيرة، واطلاعه الواسع على كتب الحديث، بادر كبار العلماء والمحدثين إلى إجازته للرواية عنهم بما أجازهم به شيوخهم، واستجازته بما يرويه عن شيوخه ، وكان أول من أجاز شيخنا الإمام رضي الله عنه والده الإمام العارف المحدث الشيخ محمد نجيب سراج الدين رحمه الله تعالى بجميع ما أجازه به شيوخه ، ومنهم الشيخ الكبير المحدث العلامة مسند الديار المغربية ، السيد أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني المغربي الفاسي [١٢٧٤–١٣٤٥هـ] ومنهم شيخه المحدث العلامة المسند الشيخ بدر الدين محمد بن يوسف الحسني الدمشقي المعروف بالمحدث الأكبر [١٢٦٧– ١٣٥٤ هـ]، ومنهم شيخه المحدث العلامة الشيخ بكري بن أحمد الزبري الحلبي [١٢٤٠هـ – ١٣١٢ هـ] ومنهم شيخه المحدث ، العلامة الشيخ كامل المؤقت الحنبلي الحلبي [١٢٧٠هـ – ١٣٣٨هـ] وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا بهم آمين.ثم توالت الإجازات على شيخنا الإمام رضي الله عنه ، من كبار العلماء والأولياء والمحدثين ، في بلاد الشام والحجاز والمغرب والهند ، كان منهم العلامة المحدث الحبيب عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف والعلامة المحدث الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي الحضرمي والعلامة المحدث الحبيب زين العابدين بن إبراهيم بن زين بن سميط الحضرمي ثم المدني والعلامة المحدث الشيخ السيد محمد مكي بن السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني المغربي ثم الدمشقي ، والعارف المحدث الشيخ علوي المالكي الحسني شيخ الحجاز في عصره [١٣٢٥–١٣٩١] ، والشيخ محمد خير الدين إسبير الحلبي ، والإمام المحدث العلامة الشيخ أبو علي حسن بن محمد بن عباس بن علي المشاط المكي المالكي ، وغيرهم من الأئمة والمحدثين ممن أجاز شيخنا بإجازات خطية وشفهية ، وأجازهم بما أجازه به الإمام العارف المحدث الشيخ محمد نجيب سراج الدين رحمه الله تعالى[٦].

ثالثاً: تلاميذه:لا شك أن شخصية نابغة فريدة متعددة الجوانب، ومتفوقة في جميع المواهب ستجذب إليها الكثيرين من التلاميذ والأصحاب والمناصرين، وهكذا كان الشيخ مصدر إعجاب وتلق وتتلمذ لمجموعة صاروا من العلماء البارزين، وطلاب العلم النابغين، وكان لهم الأستاذ والشيخ والمعلم والمربي والقدوة، ومن هؤلاء:

١. عبد الرزاق بن علي بن خلف.
٢. محمود نصرة.
٣. داود بن محمود عطا الله.
٤. عبد الرزاق بن إبراهيم سويد أبي إبراهيم.
٥. صالح بن أحمد حميدة الناصر.
٦. محمد علي بن جميل الصابوني.
٧. عبد الغني بن أحمد قنبري.

٨. محمد مجاهد شعبان.

٩. مصطفى بن محمد صديق.

١٠. عبد الوهاب تومه.

١١. محمد بن محمد الغشيم.

١٢. محمد عدنان بن محمد غشيم.

١٣. سعد الدين بن محمد سليم بن محمد علي المراد.

١٤. محمد تميم بن مصطفى عاصم الزعبي.

١٥. نور الدين عتر.

١٦. محمد خير عيسى بن الشيخ عبد القادر عيسى[٧].

رابعاً: مؤلفاته:

١. زاد عدد تصانيفه على عشرين كتاباً مطبوعاً، نذكر منها:

٢. كتاب سيدنا محمد رسول الله.

٣. التقرب إلى الله.

٤. الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها.

٥. الدعاء

٦. صعود الأقوال ورفع الأعمال إلى الكبير المتعال ذي العزة والجلال.

٧. شهادة أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٨. الصلاة في الإسلام.

٩. الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

١٠. تلاوة القرآن المجيد.

١١. هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان.

١٢. هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكير في الأكوان.

١٣. حول تفسير سورة الفاتحة.

١٤. حول تفسير سورة الحجرات.

١٥. حول تفسير سورة ق.

١٦. حول تفسير سورة الكوثر.

١٧. حول تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين.

١٨. شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث.

١٩. شرح منهجي مدرسي مبَّسط على المنظومة البيقونية[٨].

٢٠. صحيح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار[٩].

خامساً: افتتاح الشيخ للمدرسة الشعبانية:

افتتح المدرسة الشعبانية، سنة ١٩٦٠م، التي صارت مطمحاً للعلماء في حلب وغيرها –كما سيأتي الكلام عليها–, وقد دأب في حياته على إلقاء الدروس فيها وفي غيرها[١٠].

المبحث الثاني نظام المدرسة الشعبانية ومناهجها

أولاً: اسمها وموقعها الجغرافي:جاء اسم المدرسة الشعبانية نسبة إلى بانيها (شعبان بن أحمد آغا) وكان ذلك سنة ١٠٨٥ هجرية, وهو رجل غني من كبار مسلمي الأتراك الصالحين، كان مأموراً بتحصيل أموال الضرائب في حلب, والتي تسمى يومئذ بـ "تحصيل دار"[١١].وأما موقعها فتقع في حلب, في محلة الفرافرة، وحي الفرافرة حي شعبي قديم يحاذي قلعة حلب من جهة الشمال[١٢].والمدرسة مبنى عثماني جميل، يحوي مسجداً بديعا

تعلوه قبة عالية، ومدرسة مكونة من تسع وعشرين غرفة، كلها مخصصة لسكن الطلاب، ويتوسط البناء صحن مكشوف في وسطه حوض ماء (بركة) مرتفع عن الأرض كان يستخدم للوضوء، إضافة إلى كونه يجمّل المدرسة[١٣]."وهي مدرسة عظيمة البناء لها صحن واسع قدره خمسون ذراعاً في مثلها، في وسطه حوض مربع تحيط به حديقة واسعة، تكتنفها غرف المجاورين وعددها سبع وعشرون، وفي شمالي الحوض غرفة واسعة بقبة عالية خصصت للتدريس، وكذلك في شرقيه حجرة أخرى وفي غربيها مطبخ وفي جنوبيها القبلية ذات القبة العالية، وقد فرشت أرض الصحن بالرخام"[١٤].

ثانياً: شرط الواقف:واشترط واقف المدرسة الشعبانية (شعبان آغا) بعد أن أتمها بناء, وأحكمها اتقانا, أن لا يكون المدرسون أو الطلاب المقيمون في المدرسة المنتفعون بوقفها من أهالي حلب، بل اشترط الواقف لاستحقاقهم السكن في المدرسة والنفقة من وقفها أن يكونوا –مدرسين وطلاباً – من خارج حلب؛ وذلك رغبة منه في نشر العلم بين أهل الريف وتيسيراً لإقامتهم لطلب العلم. وبالطبع فليس ممنوعاً على أهالي حلب الدرس فيها لكن دون إقامة أو نفقة[١٥].وكان من شرطه أيضاً: أن يقوم الطالب إضافة إلى دراسته للعلم بتلاوة جزء من القرآن الكريم على روح الواقف، في مسجد الشعبانية بعد صلاة الفجر.وقد أوقف (شعبان آغا) على المدرسة وقفاً كافياً ذا مردود جيد، وكان يعطى للطلاب والأساتذة رواتب من غلات هذا الوقف، واستمر الأمر كذلك إلى سنة ١٣٣٨هجري، حيث قطع متولي الوقف الرواتب والنفقات عن المدرسة بسبب عدم توفر شرط الواقف، وهو أن يكون الطلاب والأساتذة من الغرباء من خارج حلب، فتفرق لعدم الانفاق على المعلمين والمتعلمين فيها معظم من كان فيها من الطلبة والمعلمين، وكادت تخلو من الطلاب[١٦].

ثالثاً: تاريخ المدرسة الشعبانية :وسأجعل تاريخ المدرسة منقسماً إلى قسمين: ما يتعلق بالعهد القديم وما يتعلق بالعهد الحديث، أما القديم فمنذ تأسيسها إلى سنة ١٩٥٨م، وأما الجديد فمنذ استلمها الشيخ عبدالله سراج الدين رحمه الله إلى الوقت الحالي.

١: الشعبانية في عهدها القديم:مرت المدرسة في عهدها القديم بعدة مراحل.

*– المرحلة الأولى: منذ افتتاحها عام ١٠٨٥هـ بدأت الدراسة فيها على نظام المدارس القديمة، فلم تكن سِنّ الانتساب إليها محددة، بل يستطيع الكبير والصغير الالتحاق بها على حد سواء، كما لم تكن هناك مدة محددة للمكث فيها، وكان الشيخ المعين للتدريس فيها يقرأ درسه في علم من علوم الشريعة، والطلاب حوله يستمعون.

وكان نظام الامتحان إذ ذاك أنه كلما انتهى المدرس من قراءة وشرح كتاب، امتحن فيه طلابه، فيجيز الحافظ منهم، وليعده غير الحافظ، وإذا تمكن الطالب من جمع المواد، أعطي إجازة محررة على ورقة خاصة تثبت تخرجه بنجاح، وأهليته للتعليم والوعظ والإمامة والخطابة

*– المرحلة الثانية: كانت في سنة ١٣٤٠ هجري ١٩٢١ ميلادي حيث ألزمت دائرة الأوقاف متولي وقف المدرسة الشعبانية بقبول الطلاب من أهالي حلب وغيرها والإنفاق عليهم وصرف الغلة لهم، فعاد إلى المدرسة الأمل بعودة الطلاب إليها، وعادت الدراسة، وانتظم سلك المدرسين. وكان من بين الطلاب.لكن حدث خلال السنة ذاتها (١٩٢١م) أن توفي متولي المدرسة (أحمد جودت آغا)، فانقطعت الرواتب، مما أدى بالمدرسة الشعبانية إلى أن تغلق مرة ثانية، ويتفرق شمل طلابها ومدرسيها. لكن بعد أن أتم طلابها عامهم الدراسي ذاك وأجروا امتحاناتها في قبلية مسجد المدرسة الخسروية.وكان مديرها في تلك الفترة، الشيخ عبدالوهاب عقاد، وممن درّس فيها: الشيخ طاهر الكيالي، والشيخ إبراهيم الدرعزاني، وكانا من خيرة العلماء.

*– المرحلة الثالثة: بقيت الشعبانية مغلقة قرابة ٢٨ سنة (من ١٩٢٠ . إلى ١٩٤٩م) ففي سنة ١٩٤٩م أصدرت دائرة الأوقاف، قانوناً بتوحيد المدارس الشرعية في مدينة حلب، فأغلقت المدارس الدينية الموجودة، وكانت سبعة، وهي: المدرسة الصلاحية، والقرناصية، والإسماعيلية، والعثمانية، والأحمدية، والأسدية، والرحيمية، وضمت كلها إلى مدرستين هما: الشعبانية والخسروية، ففتحت بموجب هذا القرار الشعبانية، لتكون هي والخسروية، أمّاً تحتضن باقي المدارس: طلاباً وأساتذة، وسميت بمعهد العلوم الشرعية، وتولى إدارتها إذ ذاك الشيخ عطا الصابوني مدير الأوقاف ثم خلفه عليها الشيخ عبد الوهاب سكر سنة ١٩٥٤م[١٧].لكن إدارة الأوقاف عندما اتخذت قرارها السابق، وحصرت الدراسة في المدرستين المذكورتين أرادت أن تطور أنظمة التدريس، لتساير الطرق الجديدة والأسلوب الحديث، فصار الطلاب يجلسون على المقاعد بعد أن كانوا يجلسون على الأرض، وصار يلقي المدرس درسه قائماً، شارحاً له على اللوح إن احتاج وكان من قبل يقرر درسه جالساً، وصارت الامتحانات فصلية وخطية بعد أن كانت تخضع لتقدير الشيخ وهمة الطالب، وشمل تغيير المنهج الدراسي فيها إعادة النظر في المواد الشرعية والعربية، وإضافة مادة الحساب ومواد مهنية، كالخط وتجليد الكتب، والضرب على الآلة الكاتبة، والمحاسبة التجارية.وكان من طلاب الشعبانية في هذه المرحلة: الشيخ محمد الحجّار، والشيخ محمد عَوّامه المجاوران حالياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مدينته المنورة حفظهما الله.واستمرت الدراسة في المدرسة الشعبانية كذلك أقل من

عشر سنين إلى ١٩٥٨م عندما قلّ طلابها وتذمر الناس من التغيير الذي طرأ عليها، لتعود بعد مشادات وتوتر إلى الإغلاق مرة أخرى، والتحق بعض طلابها بالمدرسة الأخرى الباقية من مدارس حلب وهي الخسروية، التي كانت تسمى في ذلك الوقت بالكلية الشرعية، وانفرط عقد الباقين.

وممن دَرَس فيها في هذه الفترة، الشيخ العلامة عبدالفتاح أبو غدة، والشيخ عبدالله سراج الدين، والشيخ محمد نجيب خياطة رحمهم الله، والشيخ أحمد القلاش[١٨].

٢ : العهد الجديد للشعبانية، وكيفية افتتاحها:بعد قرار توحيد المدارس الشرعية، وحصرها في مدرستين، ثم إغلاق إحداهما، (الشعبانية) كما بينا، قل طلبة العلم، ولم تبق مدارس دينية في حلب إلا الكلية الشرعي.(الخسروية) وخيف على المساجد من أن يرعاها من ليس أهلا لها، وذلك لضعف مستوى طلبة العلم نتيجة تدخل الجهات المتنفذة في المناهج والإدارة، كما شوهدت حملات تنصير تنتشر في القرى وتستثمر فرصة غياب المدارس الشرعية عن قيامها بدورها الرائد في بث العلم والتوعية. فحرك ذلك مشاعر الغيارى من رجالات حلب.وأحس الشيخ عبدالله سراج الدين –وهو من أعلام حلب وابن رجلها الفذ الشيخ نجيب سراج الدين– بخطورة الأمر على الدين والأمة، وبضرورة إعداد طلبة علم أصحاب كفاءة ومقدرة، وكان إذ ذاك في ربيع شبابه وقمة حيويته وحماسته، فاستفاد من مناسبة جمعته مع عدد من أساتذة معهد العلوم الشرعية الذي أغلق عام ١٩٥٨م، فقال الشيخ مستحثاً لهم على العودة للتدريس: ألسنا موجودين؟ قالوا: بلى. قال: ألستم مستعدين للتدريس؟ قالوا: بلى، قال: إذن فالمدرسة موجودة، نحن المدرسة، المدرسة ليست الجدران.ومن تلك الساعة أعلن عن افتتاح دروس علمية شرعية على المنهج العلمي القديم في جامع الحموي (تحت القلعة) وكان الشيخ يلقي فيه دروساً عدة، وانتظم لديه طلاب كثيرون، وكان ذلك سنة ١٩٥٩م، ودارت عجلة الدراسة والتعليم بهمة وعزم، ثم جاء في السنة التي بعدها طلاب جدد، وانتقل السابقون إلى مرحلة أعلى.وأخذت فكرة إعادة افتتاح المدرسة الشعبانية مرة أخرى تراود الشيخ عبدالله سراج الدين ثانية، فدعا الشيخ نخبة من الأغنياء الأتقياء، وذكر لهم ضرورة افتتاح المدرسة وهدفه من ذلك، وطلب منهم الدعم المالي، فتعاونوا مع الشيخ، وقدموا الأموال وهيأوا الإمكانات، وعندها أسرع الشيخ إلى دائرة الأوقاف فطلب من مدير الأوقاف، وهو آنذاك الأستاذ الفاضل السيد سليمان النسر، طلب منه تسليمه مبنى المدرسة المغلقة، فاستجاب مباشرة وتعاون مع الشيخ تعاوناً كبيراً، فأخرج من غرف المدرسة من كان متسلطاً عليها من السفهاء، وأمر بتفريغها من الأكداس التي كانت فيها، وتهيئتها لاستقبال الطلاب.ومما يذكر هنا كثرة الصعوبات التي عاناها الشيخ في مرحلة إعادة الافتتاح، وقد كانت فكرته مستغربة حتى عند كبار المشايخ بحجة وجود الخسروية، والاكتفاء بجلوس الناس إلى الشيوخ جموعاً كثيرة وبأخذ بعض الأوراد والأدعية، لكن الشيخ كان ذا عزم وتصميم فلم يبال بذلك ومضى ينفذ ما رآه لازماً.وبدأ الشيخ في إجراءات الحصول على ترخيص جمعية تعليمية خيرية تقوم على حاجات المدرسة ونفقاتها حتى تم له ذلك، وسجلت الجمعية المذكورة في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل باسم (جمعية التعليم الشرعي) بحلب، وقامت الجمعية بالعمل على إنشاء المدرسة باسم (مدرسة التعليم الشرعي بحلب).وكان الطلاب الذين يدرسون في مسجد الحموي، قد وصلوا إلى ثلاثة أو أربعة صفوف، فنقلوا للمدرسة الجديدة (مدرسة التعليم الشرعي – الشعبانية) وجامع الحموي على العموم قريب من المدرسة الشعبانية، واستمر تسجيل الطلاب في أول كل عام دراسي، حتى اكتملت صفوف ستة.وما لبث مشروع المدرسة أن انتهى حتى صارت مقصداً للعلماء وأسوة يقتدى بها، فافتتحت مدارس عديدة استفادت من تجربة الشيخ في حلب والمعرة وحماه ودمشق وغيرها، بل إنه وهو في المدينة المنورة أيام مجاورته افتتحت فيها مدرسة بإشراف الشيخ رحمه الله.ثم في مرحلة لاحقة . بعد استكمال الصفوف . عدلت شهادة المدرسة الشعبانية بالثانوية الأزهرية، ليستطيع خريجوها المتابعة العلمية في جامعة الأزهر الشريف في القاهرة، ولله الحمد[١٩].

رابعاً: التوسعات والملحقات الجديدة في المدرسة الشعبانية:وبعد فترة من الزمن أراد الشيخ توسيع مبنى المدرسة بأن بيني فوق الطرف الشمالي صفوفاً، لتستوعب الزيادة المضطردة في عدد الطلاب، فقامت بذلك العمل الجليل دائرة الأوقاف، وذلك لكونها استلمت وقف المدرسة، ثم سلمت المبنى الجديد لجمعية التعليم الشرعي، بعد أن كاد أن يحول دون هذه التوسعة موانع وعقبات أزالها الله.

خامساً: الدراسات العليا في المدرسة الشعبانية:وبعد فترة وجيزة بدأ الشيخ عبدالله سراج الدين رحمه الله في المدرسة الشعبانية (مدرسة التعليم الشرعي) في الاستعداد لافتتاح قسم جامعي سماه (قسم التخصص) وكانت نقطة انطلاقه فيه عندما فوّض الأستاذين الجليلين: صهره الدكتور نور الدين عتر، وصديقه الدكتور محمد فوزي فيض الله، بالإعداد لذلك، ووضع المناهج والخطط المطلوبة، فقاما بالمهمة خير قيام.وبدأت الدراسة في ذلك القسم الجامعي، وطمح الشيخ لافتتاح دراسات عليا في المدرسة الشعبانية، لكن جاءت أحداث فتنة الثمانين المؤسفة في حلب، لتقوض هذه الآمال وتنسفها، بعد أن كانت قريبة جداً من التحقق والوجود... وقد أدت أحداث الثمانين الدامية إلى هجرة الشيخ عبدالله سراج الدين من حلب إلى المدينة المنورة، ومجاورته للروضة الشريفة مدة لا تقل عن أربع سنين قبل أن يقرر العودة ثانية إلى حلب[٢٠].

سادساً: الأنظمة الإدارية والسياسة التربوية في المدرسة الشعبانية:

عنيت جمعية التعليم الشرعي التي تشرف على مدرسة التعليم الشرعي الشعبانية بترتيب أمورها المالية والإدارية وتنظيمها وضبطها على الوجه الأكمل، وعرفت بالتفوق في ذلك، وكانت في خطتها مسترشدة بتوجيه الشيخ عبدالله رحمه الله، وهذه بعض النماذج:

أ: في ميدان الأساتذة والإداريين:

١. رفضت جمعية التعليم الشرعي فكرة العمل المجاني، سواء كان ذلك في مجال المدرسة (مدرسين وإداريين) أو نطاق الجمعية (موظفين وجباة)، وهذا مهم جداً في انتظام وضبط الأمور وتحمل المسؤولية وقدرة الإدارة على المساءلة، لأن المتبرع كثيراً ما يتساهل في عمله لأنه متبرع فيه، وكثيراً ما يأبى أن يوجَّه أو يقيد.

٢. أخذت الجمعية بمبدأ غاية الحزم في ضبط الحسابات وصرف الأموال، حتى تبعد عن نفسها شبهة سوء التصرف والاستغلال.

٣. قررت الجمعية بالنسبة للمدرسة أن يكلف المدرس للمرة الأولى في مادة واحدة في صف واحد حسبما تراه مناسباً، وبعد سنتين أو أكثر يكلف بتلك المادة نفسها في صف أعلى حتى يمهر في الاختصاص ويتعمق، ويكون بالتالي مرجعاً معتمداً عليه فيه، فيستفيد هو بالتخصص وتستفيد المدرسة بالعطاء.

٤. إذا ضعف الأستاذ أو الموظف عن العمل لكبر سنه أو لمعوق دائم لا يعزل عن العمل ويصرف هكذا، بل كان الشيخ عبدالله يقول له: يا أستاذ لا نريد أن نتعبك أو أن نحملك ونشق عليك، درّس في مسجد قريب لبيتك ما تستطيعه من دروس، ونحن ندفع لك مرتبك الذي كنت تأخذه منا كاملاً غير منقوص.. فيرتاح المدرس ويكرّم، وفي نفس الوقت يكلف غيره من القادرين النشطين بالتدريس في المدرسة الشعبانية.

٥. وكان من حكمة الشيخ الإدارية التأني في الأمور، فكان لا يَعْجَل في أمر مهما بدا مسوغ تعجيله، حتى يتبين حقيقته ونتائجه، مستشهداً بالأثر " لا عقل كالتدبير". معتبراً أن التروي جزء مهم من التدريس.

٦ . أبعدت الجمعية نفسها عن التدخل في الأمور السياسية أو الاصطدام بالحكومة وانصرفت إلى رعاية التعليم والفقراء، فلم يتعرض لها المسئولون طيلة عملها.

ب: في ميدان الطلبة والمتعلمين:

وكانت الإدارة في كل من الجمعية والمدرسة التي يمثلها الشيخ عبدالله سراج الدين ذات رعاية بالغة للطلاب مع غاية الشفقة والتواضع في معاملاتهم. كان رحمه الله يشرف بنفسه على كسوة الطلبة، فيتعاقد مع خياط لتفصيل ثوب عربي (دشداشة) وبالطو (جاكيت طويل) على قياس كل طالب، ثم إذا تم الثوب على حسب الطلب ولبسه الطالب ووضع الطاقية البيضاء على رأسه، مسح الشيخ على الطالب وهو لابس لثياب المدرسة ودعا له، فيكون ذلك مثار فرح عظيم وسعادة غامرة.كما كان الشيخ عبدالله يعني بمعرفة سبب غياب الطلاب، ويوسع صدره لشكواهم، وإذا علم بمشكل عائلي لأحدهم دعا أبوي التلميذ للقائه، ليسمع منهما ويوجههما، وربما جعل اللقاء بهما عنده في البيت لغاية العناية والسرية، كما كان يعنى أشد العناية بنظافة الطلاب وحسن مظهرهم. وإذا وجد طالباً ضعيف المدارك عن متابعة العلم صرفه بلطف إلى العمل الإداري أو التجاري أو اليدوي.وكان يعالج الطلاب المرضى ويتكفل بجميع النفقات اللازمة. كما قام الشيخ بتزويج الطلبة النابهين وتحمل تكاليف زواجهم، وتفقد أحوالهم وإيفاء ديونهم من حسابه الخاص.لقد كان طلبة المدرسة الشعبانية بالنسبة للشيخ عبدالله سراج الدين أغلى من أبنائه، وكان هو لهم أرحم من آبائهم[٢١].

سابعاً: مناهج المدرسة الشعبانية وأساتذتها وطلابها:

أما المناهج في المدرسة الشعبانية، فقد وصفها صهر الشيخ الدكتور نور الدين عتر، المدرس بجامعة دمشق وغيرها وأستاذ الدراسات العليا، بالتكامل، فهي علمية شرعية، وفيها تربية إيمانية عرفانية وصلة قلبية بالسيرة والشمائل النبوية مما لا نجد له مثالاً، وهذا من فرط تعلقه – أي الشيخ – بالرسول صلى الله عليه وسلم وتمسكه الشديد باتباعه.وعن الأساتذة يقول: "يتميز اختياره – أي الشيخ – للرجال بوضع كل واحد في مكانه المناسب، بأن يكون الجميع على مشرب واحد وقلب واحد، لذلك سلمت المدرسة والجمعية من أي احتكاك يحصل.وعن الطلاب يقول: وقد خرجت مدرسة الشعبانية (مدرسة التعليم الشرعي) أفواجاً من خيرة أهل العلم النابغين، المتميزين بمتانة العلم وعلو الخلق واتباع السنة، والجد في خدمة العلم والأمة في المساجد وغيرها، لما تزودوا به من العلم والتربية والتغذية بروح الإيمان ومحبة الله تعالى ورسوله[٢٢].

ثامناً: من أساتذة الشعبانية الحديثة:وممّن درّس في هذه الفترة في المدرسة الشعبانية (مدرسة التعليم الشرعي): الشيخ بكري رجب وهو من شيوخ شيخنا، والشيخ محمد زين العابدين جذبة، والشيخ محمد أديب حسون، والشيخ أحمد القلاش، والشيخ د.نور الدين عتر، والشيخ مصطفى مزراب، والشيخ محمد الحماد، والشيخ محمد نجيب خياطة، والشيخ محمد الغشيم، والشيخ د. عمر خياطة، والشيخ عبدالرحمن خياطة، والشيخ أسعد العبه جي، والشيخ محمد سبسبي، والشيخ د.عبدالله علوان، والشيخ محمد مراد، والشيخ سامي البصمه جي، والشيخ عبدالله خيرالله.كما دعا الشيخ عبدالله

للتدريس فئة من طلابه وأحبابه الذين درسوا في المدرسة مثل الشيخ محمد عوامة، والشيخ د. زهير الناصر، والشيخ د.عبدالمجيد مُعَاذ، والشيخ عبدالعزيز البوشي، والشيخ محمد عادل حمصي، وولديه: الشيخ د. محمد نجيب وأحمد يحيى سراج الدين، رحم الله من توفى منهم وأطال في عمر الباقين مع تمام الصحة والعافية وخدمة الشريعة[٢٣].

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه وعلى آله وصحبه وسلم. وبعد:

فقد جرى العرف العلمي أن تكون في نهاية البحوث خاتمة يُعرض فيها خلاصة البحث وثمرته, فلا بد لنا أن نُنهي ذلك بأمور مهمة, وهي على النحو الآتي:

١- كان الشيخ (رحمه الله) أحد رموز العلم, لا سيما وقد خرج من بيت عرف بالفضل والكرم والعلم.

٢- تأثر شيخنا الإمام سراج الدين بوالده الشيخ محمد نجيب سراج الدين رحمه الله تعالى وأخذ عنه العلم والإجازات العلمية.

٣- كان للشيخ سراج الدين دور كبير في اعادة افتتاح المدرسة الشعبانية بعد إغلاقها لسنين.

٤- تعد "المدرسة الشعبانية" إحدى أهم وأكبر المدارس التي قدمت على مر السنين العلم والمعرفة لأبناء مدينة "حلب".

٥- بنيت المدرسة بحسب المعلومات في القرن ١٧ م من قبل "تحصيل دار" وهي مهنة تعني بالعربية محصّل الضرائب والأموال من الناس وكان اسمه "شعبان آغا" وذلك بهدف تقديم العلوم والمعارف لطلاب المدينة وقد أدت وظيفتها على أكمل وجه فتخرج منها المئات بل الآلاف من الطلبة».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

❖الاثار الاسلامية والتاريخية في حلب, محمد أسعد طلس, الناشر: مديرية الاثار العامة في سورية، ١٩٥٦م.

❖إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء , محمد راغب الطباخ الحلبي (ت ١٣٧٠ هـ) تحقيق: محمد كمال, دار القلم العربي – حلب الطبعة الثانية: ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

❖تراجم عبر التاريخ, مصطفى محمد البيك, الشبكة العنكبوتية الأنترنت, https://tarajm.com/. .

❖طبقات النسابين, بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (ت: ١٤٢٩هـ) الناشر: دار الرشد، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

❖المدرسة الشعبانية مدرسة التعليم الشرعي بحلب, محمد سراج الدين بيبي, مقال منشور على الموقع الرسمي لرابطة العلماء السوريين , https://islamsyria.com/

❖مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا, مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ) الناشر: دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م

❖الموقع الرسمي لفضيلة الإمام العلامة المفسر المحدث عبد الله سراج الدين, الشبكة العنكبوتية/https://www.srajalden.com :

❖نهر الذهب فى تاريخ حلب, كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي، الشهير بالغزي (ت: ١٣٥١هـ), دار القلم، حلب الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ.

هوامش البحث

(١) ينظر: طبقات النسابين, بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ) الناشر: دار الرشد، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م (ص: ٢٢٩), تراجم عبر التاريخ, مصطفى محمد البيك, الشبكة العنكبوتية الأنترنت, https://tarajm.com/.

(٢)ينظر: الموقع الرسمي لفضيلة الإمام العلامة المفسر المحدث عبد الله سراج الدين, الشبكة العنكبوتية: https://www.srajalden.com/

(٣) ينظر: الموقع الرسمي لفضيلة الإمام العلامة المفسر المحدث عبد الله سراج الدين, الشبكة العنكبوتية: https://www.srajalden.com/

(٤) ينظر: الموقع الرسمي لفضيلة الإمام العلامة المفسر المحدث عبد الله سراج الدين, الشبكة العنكبوتية: https://www.srajalden.com/

(٥) ينظر: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء , محمد راغب الطباخ الحلبي (ت ١٣٧٠ هـ) تحقيق: محمد كمال, دار القلم العربي – حلب الطبعة الثانية: ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م, (٧/ ٤٣٨).

(٦) ينظر: الموقع الرسمي لفضيلة الإمام العلامة المفسر المحدث عبد الله سراج الدين, الشبكة العنكبوتية: https://www.srajalden.com/

(٧) ينظر: تراجم عبر التاريخ, https://tarajm.com/.

(٨) ينظر: الموقع الرسمي لفضيلة الإمام العلامة المفسر المحدث عبد الله سراج الدين, الشبكة العنكبوتية: https://www.srajalden.com/

(٩) ينظر: طبقات النسابين (ص: ٢٢٩)

(١٠) ينظر: الموقع الرسمي لفضيلة الإمام العلامة المفسر المحدث عبد الله سراج الدين, الشبكة العنكبوتية: https://www.srajalden.com/

(١١) ينظر: نهر الذهب فى تاريخ حلب, كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي، الشهير بالغزي (ت: ١٣٥١هـ), دار القلم، حلب الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ (٢/ ١١٦), والاثار الاسلامية والتاريخية في حلب, محمد أسعد طلس, الناشر: مديرية الاثار العامة في سورية، ١٩٥٦م, ص٢١٩.

(١٢) ينظر: الاثار الاسلامية والتاريخية في حلب, محمد أسعد طلس, ص٢١٩.

(١٣) ينظر: المدرسة الشعبانية مدرسة التعليم الشرعي بحلب, محمد سراج الدين بيبي, مقال منشور على الموقع الرسمي لرابطة العلماء السوريين, https://islamsyria.com/

(١٤) الاثار الاسلامية والتاريخية في حلب, محمد أسعد طلس, ص٢١٩.

(١٥) ينظر: مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا, مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ) الناشر: دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م (ص: ٢٠٧).

(١٦) ينظر: المدرسة الشعبانية مدرسة التعليم الشرعي بحلب, محمد سراج الدين بيبي, مقال منشور على الموقع الرسمي لرابطة العلماء السوريين, https://islamsyria.com/

(١٧) ينظر: المدرسة الشعبانية مدرسة التعليم الشرعي بحلب, محمد سراج الدين بيبي, مقال منشور على الموقع الرسمي لرابطة العلماء السوريين, https://islamsyria.com/

(١٨) ينظر: المدرسة الشعبانية مدرسة التعليم الشرعي بحلب, محمد سراج الدين بيبي, مقال منشور على الموقع الرسمي لرابطة العلماء السوريين, https://islamsyria.com/

(١٩) ينظر: المدرسة الشعبانية مدرسة التعليم الشرعي بحلب, محمد سراج الدين بيبي, مقال منشور على الموقع الرسمي لرابطة العلماء السوريين, https://islamsyria.com/

(٢٠) ينظر: المدرسة الشعبانية مدرسة التعليم الشرعي بحلب, محمد سراج الدين بيبي, مقال منشور على الموقع الرسمي لرابطة العلماء السوريين, https://islamsyria.com/

(٢١) ينظر: المدرسة الشعبانية مدرسة التعليم الشرعي بحلب, محمد سراج الدين بيبي, مقال منشور على الموقع الرسمي لرابطة العلماء السوريين, https://islamsyria.com/

(٢٢) ينظر: المدرسة الشعبانية مدرسة التعليم الشرعي بحلب, محمد سراج الدين بيبي, مقال منشور على الموقع الرسمي لرابطة العلماء السوريين, https://islamsyria.com/

(٢٣) ينظر: المدرسة الشعبانية مدرسة التعليم الشرعي بحلب, محمد سراج الدين بيبي, مقال منشور على الموقع الرسمي لرابطة العلماء السوريين, https://islamsyria.com/